

القبيلة البدوية المغاربة قبل وأثناء الفترة الرومانية

الدكتور: عبد النور العمري

جامعة الدكتور يحي فارس المدية

البريد الإلكتروني: Prof1amri213@yahoo.fr

Abstract :

This analytical study summarized the Bedouin tribes of social, cultural and military advantages within the tribal system in the country of the old Maghreb before and during the Roman occupation, a study based on the analysis of the phenomenon Bedouin in terms of privacy and self-character which has kept the local traditions despite what it passed the Maghreb from colonial exceptions.. It worked to erase the social nomadic culture and try to force it to undergo integration or expulsion to the desert.

مقدمة:

يستدعي البحث في موضوع قبائل البدو المغاربة الرجوع إلى جذورها الممتدة عبر تاريخ بلاد المغرب العتيق، ممثلة في نماذجها الأولى منذ عصور ما قبل التاريخ ثم ما يليه من عصور منتشرة في حضارات⁽¹⁾ قامت منذ آلاف السنين. فعندما أثرتنا هذا الموضوع تبادرت إلى أذهاننا أسئلة لا حصر لها، لعل أهمها ماهي المميزات الاجتماعية والثقافية للقبائل البدوية المغربية..؟ وهل يمكن الحديث فعلا عن جزء من تاريخ البدو الذين لم يتركوا لنا سجلا مدونا عن حياتهم..؟ إضافة إلى إشكالية أخرى تتعلق بأوضاع القبائل البدوية خلال الفترة الإستعمارية الروماني، فقد شكل تاريخ بلاد المغرب القديم موضوعا حيويا في أوربا منذ مطلع القرن العشرين إذ جذب إليه حقولا تاريخية كثيرة مثل التاريخ الاجتماعي والديمقراطي والأنثروبولوجيا التاريخية لسكان بلاد المغرب القديم....

- الخصائص الاجتماعية للقبيلة البدوية المغربية قديما:

إن الدارس لتاريخ بلاد المغرب القديم يتضح له مدى ترابط هذه المنطقة وتماسكها من حيث النسيج الاجتماعي والتنظيم السياسي على فترات مختلفة وهي كتلة واحدة، فقد تميزت القبائل المغربية على أنها عاشت في نظام مجتمعي قبلي أفراده يكونون قبائل متعددة إرتبطت مع بعضها بروابط القرابة، ولأن طابع حياة تلك القبائل مرتحلة على الدوام وراء خيرات الطبيعة الشحيحة⁽²⁾ فإنها لم ترتبط بمكان دائم، مما أثر على المستوى العائلي بينها أحيانا، فقد يجف النبع فترحل القبيلة بحثا عن موضع آخريضمن العيش فإن لم تجده خاضت أحيانا صراعا وجوديا ضد قبيلة أخرى تستمتع بمكان يملك مقومات الحياة والصراع الوجودي هو صراع من أجل إستمرارية الحياة.

إذن هي قسوة طبيعية طبعت البدوي بها فرؤيته للمصاعب والمشاق شيئا إعتياديا، فإذا كان ظرفه يجعله مقاتلا كي لا يموت جوعا، وأن إستمرار حياته لا يكون إلا بالصراع أحيانا مع غيره فما أهون الموت في شؤون أعلى أو أدنى. فلهذه الأسباب البيئية كان تماسك القبيلة البدوية كوحدة واحدة في ظل قانون طوارئ دائم يشبه تماسكا خراسانيا حتى لا تفنى وتزول، وتاريخنا المغربي القديم يزدحم بأسماء لقبائل بدوية كبيرة كالجيتول والغرامنتس.. أصبحوا اليوم مجرد أسماء وروايات، خاضت صراعات كبيرة لإثبات وجودها والحفاظ على إستمراريتها.

لذلك ندرك أن تماسك القبيلة يعني استمرارها، فبالإمكان فناء القبيلة دفاعا عن أحد أفرادها، وكان طبيعيا أن يفنى الفرد فداء للقبيلة. وفي نظام أبوي صارم كهذا لا مجال لأي تمايز أو اختلاف، الكل في واحد، والواحد

في الكل، في منظومة عسكرية متحركة، دوما طاردة، أو مطرودة. يترأسها زعيم، وتتشابه عادات وتقاليد وفنون وملبس ومأكل أفرادها، حتى أن لكل قبيلة لهجة ضمن لهجات تتقارب بتقارب القبائل في المكان.

إذا ما قاربنا البداوة بالنظر إليها كنمط إجتماعي نجد التنقل أي الترحال تبعا لضروريات الحياة السعي لما هو ضروري والإكتفاء به، ولا نجد في البداوة طلب الكماليات، فالحضور الطاغي للجماعة في مقابل إلغاء الفرد، ولا معنى في البداوة لوجود الفرد خارج الجماعة أي القبيلة، حتى الفرد الذي يخرج من جماعته يلتحق بجماعة أخرى أحيانا..

إتصفت القبائل البدوية في بلاد المغرب القديم إجتماعيا أن لها عادات وتقاليد⁽³⁾ خاصة بها مستمدة وقريبة جدا من عادات بعضها البعض، لأفرادها صفات مميزة وتعايير توجي بالشهامة والرجولة والنخوة المغاربية الأصيلة، الكرم وإحترام العهد والصبر وتحمل الشدائد والتآلف والتراحم والترابط عند الأزمات، صفاتهم أنهم أهل البدو ساكني السهوب والصحراء، يتعاملون مع الطبيعة بصبر وقوة، فيتحملون حرارة الشمس المحرقة في فصل الصيف نهارا، ويحافظون على تقاليد مجتمعهم البدوي وعاداته أشد المحافظة، كما يتمسكون بمعتقداتهم الإجتماعية والدينية، ويعيشون في تجمعات أسرية متقاربة من بعضها للتعاون في العمل والدفاع المشترك عن أبناء القبيلة التي هي في حد ذاتها، مظهر من مظاهر الإئتلاف الإجتماعي، لها عدة فروع أساسية يجمعها الإنتساب إلى جد واحد أحيانا، والنسب الواحد إلى ينقسم لفروع ثانوية من آلاف الأفراد.

حافظ البدوي على تقاليده وأعرافه، من ذلك إحترامه النظام القبلي ورموزه الثقافية التي توارثها مع أفراد قبيلته عبر قرون، والولاء للقبيلة ممثلا في مفاهيم الشرف والكرم والشهامة. كما يمكن إعتبار [التطور الثقافي](#) لذلك النظام قضية إجتماعية بمعنى إجمالي طبيعي، أيضا شكلت الأفكار فردية وجماعية علاقتها بالأشياء المادية البسيطة التي يرغب فيها الإنسان، ويستخدمها مثل الأدوات والمسكن والمأكل والملبس ووسيلة الإنتقال. وقد تحظى البساطة النسبية [للتقاليد البدوية](#) على تقدير سكان المناطق الحضرية، على أساس النظر إلى حياة الترحل بوصفها أسلوبا للعيش يفترض فيه "أن الحرية والمغامرة والقرب الوثيق من الطبيعة، والبعد عن كل تقاليد ومواصفات مقيدة، يعد حلما أثيرا لمحيي البدائية والطبيعة الذين يعيشون حضارة المدن التي حاول جزءا من سكانها أن يدمجوا في حياتهم شطرا من هذا الأسلوب كرجبة [للعودة إلى الحياة البسيطة](#).

أما على المستوى الثقافي فإن ارتباط القبيلة قريبا وإنتسبت لسلف صالح يروونه أفرادها أبا روحيا لهم، فالقبيلة من دم واحد وعائلة واحدة، وهو ما يجمعها ويربطها ببعضها، ومنه تستمد القداسة لذاتها بالإجلال والتعظيم للأب، مما يُحوّل الجد البعيد بمرور الزمن وتباعده إلى مقدس مُبجل، وفي حماية هذا الأب البعيد المقدس تتحرك القبيلة تحمل رسما أو تمثالا أو راية ترمز له لذلك لم تعرف القبيلة البدوية - قديما- شيئا إسمه الوطن ولا تملك إنتماء ولا عواطف لأسم مملكة أو دولة ولا تفهم معنى المواطنة، ما تعرفه شئ إسمه (الجمي)، والجمي للقبيلة هو معادل تصوري معنوي بديل للمواطنة، فهو شئ غير محسوس مُبهم يمثل ويدل على توحيد القبيلة وإلتحامها ببعضها يتحرك معها أينما حلت ويمتزج بها وبأفرادها. فإن تعرض إسم القبيلة أو أي فرد منها لأي إهانة، تكون القبيلة كلها قد تعرضت لها وتتحرك نوازع العنف الدفاعية البدوية دفاعا عن حمى شرف القبيلة، ويكون الدفاع دفاعا عن ذات الفرد التي يتمثل فيها الحمى وذات القبيلة لأن الشرف في الفرد والفرد في القبيلة التي تكون بحكم ظرفها البيئي هي مكون متماسك متوحد يمنع الضياع في أراضي السهوب والصحراء الشاسعة.

كان ذلك الإمتزاج وليد النظام القبلي الذي إرتكز توازنه على تكافؤ القوى مما يقضي أن تكون كل قبيلة وحدة عسكرية على أتم الإستعداد لمواجهة أي هجوم أو إعتداء وكل فرد في القبيلة جنديا مكلفا بالدفاع عن قبيلته، فلم تكن هناك فئة تختص بالأعمال المدنية دون العسكرية، فنفس الفرد الذي يحمل الفأس والمعول وينتقل للبحث عن الماء والمرعى في الحياة العادية هو الذي يحمل السيف والخنجر في وقت الحرب، والطبقة الموسرة في القبيلة هي التي

تشكل الفرسان لإمتلاكها الخيل والفقيرة تشكل المشاة، كما أن القوة العسكرية للقبيلة كان لها إرتباطا وثيقا بمستواها الإقتصادي، فكلما إتسع إشعاعها الإقتصادي إرتفعت قوتها العسكرية والعكس كذلك صحيح.

على عكس بعض قبائل الشمال التي تحكمت في تنقلاتها الحرفة ولم تكن البيئة شحيحة حتى تضغط على الموارد الإقتصادية للقبيلة، ونتيجة الإستقرار تحول الدور الى القرية وهي نواة الدولة والمملكة، التي أصبحت لها حدودا جغرافية، وفرضت على الإنسان ضبط مكان تنقلاته غير أن هذا الضبط كان يخضع لخصوبة وجودة الطبيعة، ولما إزدادت متطلبات الإنسان وكثر جمعه إزدادت علاقاته ببني جنسه وراح ينشد مجموعة أوسع من القرية وكون الدولة التي وضع لها حدودا سياسية (دول الممالك النوميدية والمورية في الشمال) وضبطت هذه الحدود بتضاريس طبيعية (مسطحات مائية، جبال..) وهذا يعني أننا إذا تحدثنا عن الإنسان المغاربي مع فجر التاريخ، لا يمكننا أن نحصر جماعة ما في منطقة معينة أو في مساحة محدودة بأرقام لا تقبل الشك ولا النقاش، إذ أن الحدود السياسية لأي دولة قضية حديثة بالنسبة لإنسان فجر التاريخ.

إذن فالوطنية والمواطنة لم تكن ضمن المفهوم الإجتماعي للبديوين، لأن من مميزات القبيلة البدوية المغاربية حياتها المقترنة بالبادية الخاصة بعيشها في خيام والتنقل بالإبل، ضمن حدود غير واضحة، تراعي فقط التحالفات القائمة بين القبائل. فقد ترحل القبيلة، وتترك موقعها مع ماشيتها في مواسم، فتهيم في أرجاء السهوب والصحراء بحثاً عن العشب والمياه، وعن مكان أفضل لرعي الماشية لأنها ثروتها الغذائية (حليب، جبن، لحوم) وحاجياتها اليومية (نسيج أبسطة، أقمشة خيام ألبة، جلود). فهي لم تهتم بتأثيث منازل دائمة ومكتملة اللوازم مثلما في مدن الحضارات القائمة آنذاك، بل أولويتها كانت الحياة البسيطة التي تصبح سبيلاً لتعميق التواصل مع المحيط البيئي.

هذا كله من الناحية التاريخية يعود أيضا الى نمط سكنى الخيام أقدم مظهر سكني عرفه البدو المغاربة قديما بعد ساكني الكهوف في مناطق مثل هوافطيط والضيع والطير بالشمال الليبي وتاسيلي وتبستي والعوينات⁽⁴⁾ في قلب الصحراء، كما انتشرت سكنى الخيام في أراضي السهوب والإقليم الصحراوي وهي مناطق الرعي التي ينتقل فيها الرعاة بأغنامهم وراء الكلاً، وإذا أردنا إجراء مقارنة بين نسب سقوط الأمطار والأنماط السكنية نجد أن هناك ترابطا شديدا وعلاقة وثيقة بين التساقط وسكنى الخيام، ويمكن إعتبار خط المطر المساوي (400 ملمتر) حدا أعلى وفاصلا بين ساكني الخيام والأنماط السكنية الأخرى، فإلى الجنوب من هذا الخط حيث تقل الأمطار ولا تساعد على الزراعة، يميل السكان إلى الرعي وسكنى الخيام التي فرضتها عليهم الحرفة.

الظاهر من بساطة تلك الحياة بالنسبة للقبائل البدوية، لا تعوق حرية حركاتهم وتنقلاتهم، مما يمثل حقيقة أساسية لحياتهم. ومن الممكن أن نرسم صورة ذهنية عن حياة البديوين، ففي البادية يجلسون ويتسامرون، وتجري الأحاديث ويتبادلون الأخبار، وهذه الصورة تجسد شخصية "الأخر" الذي هو أقل تحضرأ في نظر البعض، كعيشهم في مناطق سهبية واسعة بدون إستقرار ووظيفتهم اليومية رعي الأغنام. إذ أن هذه الفكرة المسبقة تتجاهل ممارسة الزراعة في بعض المناطق السهبية أو الواحات الصحراوية الكثيرة، إضافة إلى وجود مناطق سهبية قريبة أو مجاورة للمدن الزراعية ناحية الشمال، يقوم أهلها بمقايضة منتجات الحليب والصوف والملح.. والمبادلة بالسلع مع القبائل البدوية. فمقابل الجبن والماعز والسجاد والصوف والجلود وغيرها، حصل ساكنوا السهوب والصحراء على لوازمهم من الأقمشة الملونة والمجوهرات والحبوب.. إلخ أما الآخرين الذين عاشوا في مناطق (الواحات) لا يجاورها مدن زراعية حاولوا جاهدين أن يزرعوا.

وإذا تأملنا إندماج قبائل البدو مع الصفات الحضارية فإن ذلك الإندماج يتعلق بمسألة تقييمية، فرغم دلالاته أحيانا على درجة التعقد في الحياة أو الثقافة، فإنه يتضمن إما مفهوما للتحسن أو مفهوما للتدهور. غير أن التعقيد المتزايد في الحياة أو في الثقافة، ليس من شأنه بالضرورة أن يبعث على تحسن في نوعها، ولا على التكيف مع البيئة،

بمعنى الصلاحية للبقاء. لأن التعقيد في شكل الحياة (البدوية) لم يتفق دائماً مع التحسن في نوع هذه الحياة، بمعانيها الأخلاقية والعقلية والجمالية. إذ أن "التطور" و"التخلف" يسيران معاً. فإما أن يقوى بعضهما البعض، أو يقاوم أحدهما الآخر. وفي مثل هذه الحالات يصبح التعقيد أو التبسيط صعب التقدير كصفات نقية خالصة لأن النمو في جانب يستلزم النقص من جانب مضاد.

فالمعروف في حياة الصحراء أنها لم تكن كلها للرعي والتنقل المستمر، بحثاً عن وفرة الكلأ ومصادر المياه. فرغم أن حياة الرعي في جوهرها أحفل بالتنقل من حياة الزراعة، لكنها تفاوتت بين حياة الترحل المستمرة وبين الحياة المستقرة التي كانت فيها القطعان تساق جيئة وذهاباً، داخل منطقة محدودة ومعلومة. وعندما تجول القبائل البدوية على مقربة من المدن تقتبس سماتها الثقافية رغم إستبعادها ما يتعارض مع حياة تنقلاتها. وهذا يتيح لها الحصول على منتجات الحضارة، مثل بعض الأدوات الصناعية الخفيفة، فمقتنيات البدو الرحل الدائمة كانت قليلة، لأنه صعب على أي قبيلة "متنقلة" احتفاظها بممتلكات ثابتة، من خلال بيع الصناعات اليدوية البسيطة والجواهر والأبسطة، فيديو السبوح والصحراء كان لهم إهتمام بتلبية إحتياجاتهم اليومية لإشباع رغبتهم في التعويض عن صمت الصحراء وفراغ مساحاتها الشاسعة، وتضاريس الصخور وكثبان الرمال.

إن العيش في القبيلة، رغم كونه لا يقوم على أسس الطباقية الإجتماعية ولا يتبع أساليب "بيروقراطية" مثلما في الممالك والإمبراطوريات المركزية، فإن ذلك لم يبرر "النظرة الدونية" ضد المجتمع البدوي، إذ إعتبر تخلفاً من وجهة نظر "ثقافة مهيمنة" إستعمارية (رومانية..). يعد "قيمة" تحظى بالإحترام بالنسبة لثقافة البدو، ف"التنقل" في ثقافتهم قد يكون نتيجة لعشقهم العيش بحرية. فالبدوي الذي عاش حياته في الصحراء، يعرف كل أسرارها، وأماكن المياه فيها، ويستدل من العلامات التي تركتها آثاره بمناطق الصحراء، واستفادته من النجوم المضيئة في الليل لتخبره عن مسلكه في أسفاره، و"الجمال"⁽⁵⁾ الذي هو وسيلته في سفرياته بين كثبان الرمل والطرق الوعرة مع كفايته بقليل الماء والعشب، ومع ذلك يسير لأيام، والمثل يذكرنا أن الإنسان ابن بيئته يتكيف معها، يؤثر فيها وتؤثر فيه، في تناغم وإنسجام ثنائي داخل نظام إيكولوجي متكامل.

كان ذلك التنقل والترحال الدائم يجعل من الصعب الإمساك بأي روابط إجتماعية أبعد من روابط القرابة التي كانت ضرورية للمحافظة على العنصر الإنساني داخل تكتل يدافع عنه ويحميه ومن خلال روابط القرابة تتشكل القبيلة الجامعة التي كانت عنصراً ثقافياً ظاهراً في الحياة البدوية وله مبرراته في ظل ذلك التصارع على الموارد الاقتصادية ومحاولة السيطرة والتسلط على المناطق الجغرافية ولا يمكن ان نتصور ان الدوافع سياسية إلا فيما ندر في الأغلب الوجود هو دافع هذه الصراعات، لذلك لا معنى لوجود الفرد في الحياة البدوية التي تعتمد إعتقاداً كلياً على الجماعة. ومعرفة الثقافة البدوية وفهمها وجب الأخذ في إعتبار المنظومة المتكاملة بين المكان والسكان والبيئة المحيطة، بمعنى أن الإنسان وبيئته التي يعيش فيها بينهما تفاعل قوي يتأثر كل منهما بالآخر، والإنسان البدوي يعيش في بيئة لها ظروفها القاسية الخاصة، وكان لزاماً عليه التكيف مع هذه الظروف القاسية وأن يتحمل البيئة بمواردها المحدودة ويتكيف معها.

ولئن عرفت المجتمعات الإنسانية قديماً صراعات ونزاعات حول مصادر العيش فإن عالم البداوة واجه هو الآخر نزاعات ثأر وغزو وأسر.. إضافة إلى تحديات الطبيعية والفقر والهجرة والتفاوت في توزيع الثروة والدخل وما إنجر عن ذلك من تهديد لإستقرار حياة القبائل البدوية وتأثيرها على العلاقات، وإنتشار الخوف لدى بعضهم. ولما كان جوهر الأمن هو التحرر من الخوف أي من كل خطر أو ضرر قد يلحق بالإنسان في نفسه أو عرضه أو ممتلكاته.. كان الأمن في صدارة إهتمامات زعماء القبائل البدوية ومجتمعاتها بإعتباره عاملاً جوهرياً يحفظ وجودها ويمنح حياة كريمة لأفراد القبيلة بما تتفق والفطرة التي جُبِل عليها وهي غريزتي البقاء والدفاع.

هكذا نرى أن القوة والعنف والأعراف والتقاليد عوامل هامة في التعاملات بين الجماعات والأفراد في البادية، بينما إستخدام القوة غير مفهوم وغير شرعي في الحاضرة أي "المدنية" في ظل وجود مؤسسات تستحوذ على القوة مثل مؤسسات الأمن.. عموما فهذه العوامل أهم ما يميز البداوة كنمط إجتماعي مدني. لأن البداوة لا وجود لها في الحواضر من حيث كونها نمط معيشي يحمل في داخله شكله الإقتصادي والسياسي والعلاقات الإجتماعية بين الأفراد والجماعات...

كما أننا نرى ظاهرة الترحال أهم خصائص البداوة وأهم مكون فيها، ترك أثره في تشكيل تكتلات إجتماعية داخل البداوة، وليس مقصودا لذاته فالأمر تعلق بضرورات معاشية إقتصادية لأن الأوضاع الإقتصادية كلما تحسنت إقترب البدو من الإستقرار والبناء، والترحال ليس إعتباطيا بالتوجه لأي مكان آخر يراعي المنفعة وسلطة الآخرين- من البدو طبعا- على مناطقهم الجغرافية حتى مع وجود الدولة التي تلغي أي سلطة أخرى، إلا أنها كانت سلطات عرفية بين القبائل البدوية لم يتم تجاوزها ببسر، ففي تنقل القبيلة تنظيم إجتماعي يصعب تجاوزه بسهولة وإعتباطية.

- القبيلة البدوية في ظل المتغيرات الداخلية (الإحتلال الروماني):

يبدو أن الجغرافيا لوحدها هي المسؤولة عما ينسب عادة للرجال فليس لبلاد المغرب مركز مؤثر قادر على أن يجمع حوله الممالك الناشئة، فبين الممالك المتوجهة تقليديا نحو شرق المتوسط وتلك المحاذية للمحيط إقتصرت مساحة الحياة الزراعية على شريط ساحلي ضيق تقطعه الجبال ويتكون الباقي من سهول عالية أو هضاب سهبية تمثل مناطق عبور طبيعية رائعة.. لا يجد الغزاة عناء في عبورها، وان المسافات الهائلة بين الإقليمين المتميزين وامتداد المسافات والعقبات الإقليمية تفشل أي محاولة من أحد الإقليمين لإحتلال الإقليم الآخر ما لم تكن هذه المحاولة تنقاد من الخارج، وعندما نجحت القوة الأجنبية في بسط سيطرتها على كامل بلاد المغرب الشمالية اضطرت لا محالة إلى أن تأخذ في الإعتبار قرب الخصائص بل التناقضات لمختلف أجزاء بلاد المغرب القديم، خاصة وأن صحراء تمتد جنوب مناطق التلال في كل من الجزائر وتونس مساحات كبيرة ذات تضاريس متنوعة مقسمة إلى أحواض مغلقة، ولهذه السهوب إمتدادها في مصب ذراع جنوب المغرب، والبداوة العاملة في الرعي هي أسلوب الحياة الأكثر تكليفا مع الظروف "الجغرافية الحيوية" لهذه المناطق.

كتب كثيرون عن تاريخ شعوب بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، مفترضين بوجود صراع دائم بين قبائل السهوب وساكني أراضي المزروعات بالشمال، أي بين البدو الرحل والناس المستقرين، وملح تلك الإفتراضات أن الرومان طردوا القبائل البدوية من المناطق الصالحة للزراعة في أراضي الشمال وأجبروهم على العودة إلى شمال الصحراء وقلبيها، وأنشئوا حدودا محروسة لمنعهم من الدخول ثانية إلى ما أصبح في القرن الأول والثاني للميلاد منطقة للزراعة المستقرة والحياة المدنية لهم، في مقابل توطيد قبائل البدو سيطرتهم على السهوب ووحدات الصحراء الشمالية، الذين استطاعوا بإنتشار إستخدامهم للجمال فرض نفوذهم على تلك المناطق منذ بداية الفترة الإمبراطورية الأولى، كما زادو من هجماتهم على دفاعات الحدود الرومانية وبالأخص المرحلة الثانية من تاريخ الإمبراطورية ببلاد المغرب (285م-439م)، وهذا ما تؤكد الإفتراضات والحقائق التاريخية المختلفة لجدل الصراع التي نجد لها أثرا آخر في المناطق الجبلية الواقعة في أواسط المقاطعات الرومانية منها الكتل الجبلية جرجرة والأوراس والونشريس والريف...

كان يتم في كل الفترات الرومانية ببلاد المغرب التذرع بعدم خضوع القبائل البدوية ورفضها قبول الهيمنة الإستعمارية ويتم طردها وإجبارها على العيش في المنعزلات الجبلية أو السهبية والصحراوية الواسعة، فأصبحت تلك القبائل تهاجم بشكل دوري المستوطنات الزراعية المستقرة وتنهبها كرد فعل رفض للإحتلال، وعلى الرغم من إمكانية

تشكيكنا في صحة أي إفتراض بأن قبائل البدو والسكان المستقرين تنافروا بالضرورة من بعضهم البعض، فإن تلك الإفتراضات سادت الساحة التاريخية لأكثر من خمسين عاما، في ضوء المطامح الأوربية للمنطقة المغاربية خلال القرن العشرين. وترسيخ فكرة دونية⁽⁶⁾ الأهالي إجتماعيا، وقدمت الثورات المغاربية في مؤلفاتهم على أنها نتاج عدوانية الإنسان المغاربي ونزعتة الفطرية للعنف، وولعه الشديد للخروج عن القوانين وتعطشه لأعمال السلب والنهب والتخريب. فبعض المؤرخين القدامى الكبار اختلفوا على وصف العمليات القتالية المغاربية ضد الرومان مرات بحروب (Bello) ومرات أخرى بإضطرابات (Tumult) أو صعلكة (Latro) ... وإختلافهم في ذلك يرجع اساسا إلى توجهاتهم الفكرية⁽⁷⁾.

كما رأى المختصون أن الإهتمام بدراسة النظريات الأمنية للرومان وتوسع مجالات الغزو أفرزت رؤى جديدة تفسر شيئا من الواقع الأمني آنذاك وهي أن: الدولة الرومانية مهما كان وضعها معرضة لمواجهة صعوبات ضمان الأمن، والتهديدات المسجلة متنوعة ومختلفة بحسب كل إقليم وخصائصه البيئية والإجتماعية. فإقرار الأمن يحتاج إلى أبعاد أخرى إقتصادية وإجتماعية وبيئية وثقافية لمواجهة التغيرات المتسارعة.

أما من الناحيتين الإيجابية الفاعلة والسلبية المنفعلة فلا يمكننا الموازنة بين وجهتي النظر المتعاكستين هاتين إلا بطريقة واحدة هي دراسة العلاقات المتبادلة بين الرومان والسكان الأصليين بالموضوعية، فوجود مصطلحات تصف الأهالي بليبي أو إفريقي أو نوميدي أو موريطاني ... لا روماني، يؤكد أن المناطق لم توجد في فراغ بل تأثرت عميقا بالتطورات السياسية والإجتماعية والإقتصادية. كما أن دراسة مقاطعات الرومان ببلاد المغرب من طرف مؤرخين أعطتنا صورة عن الحياة اليومية لإقتصاد الريف الذي أشارت إليه أدلة زراعة الزيتون المكثفة وصراعات الإستيطان موضوعا مهما في توضيح حاجة الرومان طرد القبائل الزراعية نحو السهوب وتحويلها إلى رعوية.

كان البدو يشتطون في المطالب كلما ضعفت السلطة الرومانية في الشمال (التل) وهي تكون عادة مسؤولة عن القوافل الكبرى العابرة للصحراء، فكان البدو يثقلون كاهل التجار العابرين مواطن أولئك البدو وهو ما كان ينعكس على البضاعة من حيث الندرة والأسعار، وهذا احد العوامل الذي دفع بالرومان إلى محاولة السيطرة على بدو السهوب ومراقبة طرق التجارة العابرة لمضاربهم وذلك بإنشاء مراكز حراسة وترصد على محاور الطرق الرئيسية وفي الأكام والربى المطلة على المناطق التي يتردد عليها البدو.⁽⁸⁾

استقرت المجموعات القبلية في الأراضي الجذبة ناحية الصحراء نتيجة رفضهم للاندماج الاقتصادي والسياسي والثقافي ضمن ناطق الإمبراطورية الرومانية، وحتى مناطق السهوب بسبب عدد قبائلها وشح مواردها اضطرت أحيانا لقذف فائضها البشري نحو السهول، لأن حياة الفقر والشح والأمل في بيئة أقل رفه وبحبوحة، وأكثر قسوة غالبا ما كانت تحمل البدويين على مغادرة مواطنهم وبدورها السهول والمدن كانت بحاجة إلى هؤلاء المهاجرين على الرغم من خوفها وحذرهم منهم ومن سخرتها من سلوكهم وأخلاقهم، لذا نادرا ما كان يحدث تزواج بين فلاحي السهول والقادمين من السهوب، كأن الحواجز الجغرافية التي كان يتم خرقها كانت لا تلبث أن تود إلى البروز والمثول حواجز إجتماعية وثقافية.

أما هبوط البدويين بقطعاتهم إلى السهول فكان يشكل إحدى حركتي الانتجاع الموسمي بينما تبرز أيضا الهجرة الموسمية أو المؤقتة على نحو شديد الأهمية، مثل هذه الهجرات كانت دائمة الحدوث في حياة المغاربة، لاسيما في أوقات المجاعات حين كان يتكاثر البدويون كأيد عاملة وفلاحين في السهول بالشمال، ثم علينا ألا ننسى هجرات البدويين العسكرية التي كانت تغذي جيوش الممالك والإمارات ثم المقاطعات الرومانية بالجنود. والسهوب والصحاري مصنع غذى تاريخ بلاد المغرب القديم كله، وربما قام هو نفسه بصناعة هذا التاريخ آنذاك، فالحياة البدوية هي على الأرجح نواة الحياة في بلاد المغرب القديم، كما تضل الصورة التي رسمناها عن السهوب والصحاري ناقصة إذا لم

نقابليها بصورة أخرى لإنصافها، فالسهوب المغاربية سهول مرتفعة أرضها جافة وصلبة ولا تعبر الأنهار فيها إلا نادرا، بينما تخترقها الطرق بسهولة نسبية، وسهوب المغرب الأوسط هي إمتداد من سهوب متتالية من بسكرة إلى ملوية، ولها دور إن لم يكن أساسيا فهو هام في النمو الثقافي لتلك المناطق.

كان البدو المتنقلون في تلك القفار (الصحراء) أن وصل بهم الحال الى مصارعة بعضهم البعض الآخر في الآبار والمراعي لكن غزوهم للحضر كان أسهل عليهم لأنهم كانوا متى أرادوا يصلون إلى أبواب كل مدينة رومانية ومثال ذلك قبائل النسامونيس في ليبيا، وفي هذا السياق لابد أن نميز نوعين من البدو: البدو الجيليون الذين كانوا يتنقلون في دوائر ضيقة مساحتها، وكبار البدو الذين كانوا يتنقلون في مساحات واسعة ليصلوا إلى شواطئ البحر، فهؤلاء كانوا يبدؤون رحيلهم في كل سنة من الجنوب إلى الشمال قاصدين المراعي التي كانت تيبس نباتاتها بالتدريج من الجنوب إلى الشمال، هكذا كان طلبهم للخضرة يقودهم إلى شواطئ المتوسط، منهم مثلا قبائل الاوتولاي وهم قبائل رحل أو أنصاف رحل ينزلون في فصل الشتاء إلى سهول الساحل المحصورة بين أغادير ونهر تاشيفت وفي الصيف يصعدون إلى الشمال إلى ضفاف الأودية المحصورة بين (بورقراق ونهر الملاح بحثا عن الكأ والمرعى وفي نفس الوقت مهاجمة ما يمكن مهاجمته.

هكذا كانت حركة البدو من السهوب إلى البحر ومن هذا الأخير إلى السهوب، إحدى علامات تاريخ بلاد المغرب ودورة من دورات حياته، وإذا كان البدو يتنقلون بحثا عن المراعي فإنهم من وجه آخر كانوا بحاجة إلى أراض يحرثونها ويستنبطونها وإلى مدن يجعلونها مراكز لتموينهم وقواعد لنظمهم السياسية والإقامة فيها. لكن الدولة النظرية التي أقامها البدو في تلك المدنية القبلية ما تلبث أن تتوارى في العدم وكأنها ولدت من عدم، ومثل هذه الواقعة كررها التاريخ مرات عديدة إنطلاقا من الشروط نفسها.⁽⁹⁾

إن علاقة البدوي بالحضري المقيم في بالشمال في العهد الروماني لم تتسم فقط بالعداوة والصراع الدائم، فبعض البدو غالبا ما كانوا يستدعون إلى السواحل لإستخدامهم في الزراعة لكن مجيئهم غالبا ما يتزامن مع إنهاك خصوبة الأرض الزراعية وحاجتها إلى الراحة، وكانا العدوين البدوي والمقيم المستوطن يتكاملان، فالبدوي كان يستفيد من نقاط ضعف المستوطن، ومن دون هذا التوازن بين الحضارتين حضارة البدو وحضارة المستوطنين لا يمكن فهم شيء من هذه المأساة المترجرة، لقد كان البدو في بلاد المغرب يساعدون أحيانا على توفير أسباب الاستتباب للنظام الروماني (حرس الحدود الليميتاني) ويتحالفون حينما مع بعضهم ضد ذلك النظام الغازي نفسه الذي لم يستطيعوا الإنتصار عليه بسبب استخدامه الجيش المنظم الكثير العدد والمسلح جيدا إلا أن تم في النهاية طردهم من الأراضي التي كانوا طرفا فاعلا فيها.

هكذا نرى أن مجموعة من الشعوب (القبائل) إمتدت جنوبا بعضها إمتد على طول الواجهة الجنوبية من سواحل المحيط الى سرت الكبرى منها قبائل الجيتول والبقواط والبوار...وبعضها الآخر عرف من خلال المصادر القديمة بقوته وكثرة أعداده وبتوفره على عاصمة (جرما) كما هو الحال بالنسبة للقبائل الجرامنتية، بينما بقيت مجموعات تمارس الترحال وشبه الترحال في المناطق الجنوبية القاحلة والشبه قاحلة. ومقابل ذلك حالت قساوة المجال في الجنوب دون التعرف أكثر على الساكنة الجنوبية المنتشرة على شكل شعوب كبيرة وقوية، فمعرفةنا عن الجرامنت - مثلا - لازالت لحد الساعة دون المستوى رغم أن المؤشرات كلها تدل على أن تلك الشعوب تميزت بوجود نظام سياسي وعسكري وإقتصادي محكم وتأقلمها مع المجال الشبه الجاف الذي إستقرت فيه وبفعل نقص المعلومات عنها يجعلنا نعتقد أنها كانت دون مستوى التطور الذي وصلته الممالك الأمازيغية وقرطاجة في الشمال.

وتفسير آخر يجعل هذا المجال حاجزا أمام المؤلفين الذين لم يستطيعوا التوغل فيه وإستقاء أخبار عنه لما زرعه فيهم من خوف، وبالتالي فإذا كانت معلومات المصادر وفيرة بالنسبة للشمال فإنها تبقى على العكس شحيحة بالنسبة

للجنوب، وفي كلا التفسيرين فإن عامل المجال يفرض نفسه بحدّة، وقد بقيت قبائل الرحل خارج المجال المحتل، غير أنها كانت معنية بشكل مباشر بالسيطرة التي مارسها قوى الإحتلال ببلاد المغرب القديم، وإقصاء قبائل الرحل أثناء دراسة تاريخ بلاد المغرب القديم هو إقصاء لجزء مهم من تاريخ المنطقة.

ورغم كل تاويل فإن المغاربة (الثوار) لجئوا دائما نحو المناطق الجافة وشبه الجافة بالجنوب للإحتماء من الجيوش الغازية، ورغم ذلك فإنهم تأقلموا مع خصوصيات الإقليم البيئي مع ظروف الجفاف وقلة الأمطار وإستطاعوا إختراع تقنيات تسير هذه البيئة وتلاؤمها. وهذا دليل على أن هؤلاء كانوا على دراية كبيرة بهذا المجال وإستطاعوا التأقلم مع صعوبة في مقابل الرومان الذين عانوا الأمرين من هذه المخططات العسكرية المحلية وتعرضوا مرات لهزائم في هذا المجال الغريب عنهم، وفي هذا توظيف ذكي للبيئة المحلية من طرف المغاربة.

لكن الأزمات الإجتماعية والإقتصادية المستفحلة عادة ما أفرزت جماعات مسلحة تعيش على التلصص وقطع الطرق وشن هجمات من أجل السلب والنهب، وفي الغالب دلت على تدمير وإستياء من الأوضاع المعيشية المزرية وتجسد موقفا غير صريح من الوضع الإجتماعي والإقتصادي المعاش، فإنها لا تمثل ثورة بإعتبار أن تلك العمليات المسلحة تشكل هدفا في حد ذاتها وليست وسيلة لفرض التغيير في الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في نظر البعض لم تكن تلك الهجمات المسلحة من قبل الرحل خارج المجال المحتل ثورة، بإعتبار أن تلك القبائل لم تكن خاضعة للهيمنة الأجنبية.

ونحن نعتبر تلك الهجمات "ثورات" القبائل البدوية المغربية لأنها تحركات مسلحة عبرت من خلالها تلك القبائل بقيادة زعيم لهم رفض الإحتلال وتبعاته، يضاف الى ذلك نمط عيش أفرادها وحجم تكتلهم وإنتماؤهم الجغرافي والإثني، وهو يدل عن إرادة جماعية لمواجهة واقع معين مرفوض لديهم، فكانت القوة المسخرة وسيلة لتحقيق هدفهم، وهذا بغض النظر عن مدى نجاح أو فشل تحركاتهم في تحقيق غاياتهم وأهدافهم. وقد لاحظ الباحث يان لوبهاك في تلك الإضطرابات والثورات تفريق بين العمليات المسلحة ذات الطابع الوطني وبين العمليات الموجهة للنهب والتلصص الوثيقة الصلة بالخاصية الإقتصادية والأوضاع الإجتماعية، كما قد تتداخل عدة عوامل في بعض الثورات، وما يبدو إلى حد الآن إغفال التباينات الجغرافية والزمنية كثيرا.⁽¹⁰⁾

بسطت ثورات قبائل السهوب والصحراء نفوذها خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول ميلادي، وبرزت بقوة فيما بعد أواخر الثالث الميلادي، في حين ضلت ثورات أهل الجبال حاضرة بثقلها منذ القرن الأول ميلادي إلى غاية نهاية الإحتلال الروماني، وذلك بمختلف المقاطعات بإستثناء مقاطعة إفريقيا، فمعظم الدراسات تفيد أن مراكز المراقبة التي أنشأها الرومان كانت أولوياتها تقنين وترشيد تحركات الرحل الموسمية بإتجاه مناطق الإنتاج شمالا. فقد أوضح بن أبو أن علاقة الرحل بالمستقرين في الشمال قامت أصلا على التكامل وليس على الصراع من قبل وأن الوجود الروماني إنعكس سلبا على تلك العلاقات التاريخية، ومن ثم على حياة الرحل.⁽¹¹⁾

إن التيار الوطني للقبائل البدوية المعادي للوجود الروماني تولد نتيجة وجود أرضية ثقافية محلية تختلف عن ثقافة روما وأن هذا الإختلاف في الثقافة هو الذي تولدت عنه مقاومة تلك القبائل للنفوذ الروماني، وكان لمشكل ملكية الأرض مجالات القبائل الخاصة بمنتجعاتها تعتبر من الأسباب الأساسية للإصطدام بين القبائل البدوية والسلطة الرومانية، فالمؤكد أن يوغرطة لم يكن عميلا للرومان ولا خائنا لوطنه فقد كان النظام القبلي هو الذي ينظم حركة مقاومته يقودها كبار ضباطه، يعي لها ويحث عليها كبار القوم، وكان زعماء القبائل يفعلون ذلك بلا تردد في أغلب الجولات الحربية لأسباب الوطنية والسلطوية الجغرافية على حد سواء، وكانت العامة تهب مدفوعة بشعور قومي جارف لتلبية نداء القائد الثائر ضد الغزاة الأجانب. كذلك الشيء نفسه مع المقاومة المنظمة ليوبا الأول وتاكفاريناس.. والمقاومة الغير نظامية والمتواصلة للقبائل البدوية..

أما ثورات⁽¹²⁾ عهد الإحتلال الوندالي والبيزنطي لعب فيها أهل القبائل الجبلية وقبائل السهوب والصحراء البدوية على الدوام دورا فعليا في المقاومة والرفض، والظاهر أن هاته الثورات لما إنطلقت في البداية أفضت جميعها إلى ظهور ممالك مستقلة، وأن إستمرارها إرتبط بتوسيع مجالها ثم تحولت للدفاع عن إستمرارية وجودها وإستقلاليتها ولو في الحدود الدنيا، وهذا ما منح الثورات نفسا طويلا.

إرتبطت تلك الثورات كلها أيضا بتكتلات قبلية جهوية، وهي في الواقع تجسيد للكيانات السياسية التي نشأت على أنقاض السلطة الرومانية المتناهية ببلاد المغرب القديم، والتي برزت في ظل تراجع قوة المملكة الوندالية. كذلك معظم تلك الثورات سواء منها المرتبطة بالعهد الوندالي أو العهد البيزنطي إرتبطت بالمجالات الواقعة عند الحدود الجنوبية والغربية لمملكة الوندال، والمجال الذي ألحقه البيزنطيون، فرغم الطابع الإقليمي الذي طغى على تلك الثورات برزت أحيانا تحالفات قوية بين قبائل الأقاليم المتجاورة مثلما حدث بين قبائل الأوراس وقبائل الحضنة أو قبائل بيزاكي وقبائل الأوراس، وتحالف قبائل الطرابلسية وقبائل بيزاكي الذي شكل أقوى تحالف في هاته الفترة.

أمام فشل الرومان في القضاء عسكريا على مقاومة القبائل البدوية لجأوا أحيانا إلى سياسة مهادنة بعضها وعقد معاهدات سلام معها، مما يرجح وجود كيان وطني مستقل يتفاوض مع الرومان ويملي عليهم شروطه، ليتطور هذا الكيان من قبيلة كبيرة بمفردها إلى مجموعة قبائل ثم ممالك خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد، لأن فشل الرومان عسكريا وسياسيا وثقافيا فرض عليهم اللجوء إلى آخر حل بقي أمامهم وهو التراجع والتخلي عن مقاطعاتهم ببلاد المغرب القديم..

خاتمة:

إن الإنسان البدوي المغاربي وليد البيئة التي عاش فيها حيث ظهرت آثار هذه البيئة واضحة على ملامح شخصيته فكانت أسيرا للأرض التي نشأ عليها، فكما أثر في تلك البيئة وحاول تطويرها فإن الظروف البيئية لعبت دورا هاما في توجيه نشاطه، وكذلك لأي شعب من الشعوب، فإذا تناولنا بالمقارنة شعبا يعيش وسط بيئة تحيط به البحار من كل جانب بشعب آخر يعيش وسط الصحاري بقيضها وسمومها وقحطها، وشعبا ثالثا يعيش وسط هلال خصيب حيث الماء الوفير والزرع والنظر وجمال الطبيعة وإعتدال المناخ، فإننا نجد لكل شعب من الثلاث سمات حضارية متباينة، حيث يضطر كل شعب منها للتكيف مع بيئته والتأقلم مع ما هو متاح على سطح أرضها أو في باطنها، وإذا كنا نسلم بتأثير البيئة الجغرافية على أوجه النشاط البشري للشعوب يجدر بنا أن نبدأ بدراسة موجزة عن بيئة بلاد المغرب الجغرافية، تلك البيئة التي لعبت دورا كبيرا في تشكيل الشخصية المغاربية سواء داخل بلاد المغرب أو في علاقات المغاربة بجيرانهم شرقا وشمالا.. وإذا كان مشهد الإنتقال المنظم للقطعان والبشر يختفي شيئا فشيئا اليوم فإنه بالأمس كان وعلى إمتداد قرون علامة أساسية في حياة المجتمعات المتوسطية.

الهوامش:

⁽¹⁾ حضارة عين الحنش قرب قسنطينة تعود إلى مطلع العصر الحجري القديم أو الحضارة الشولية وربما فاقها قدما، إذ تعود حفرياتها إلى حوالي مليون سنة. كذلك حفريات الماء الأبيض (45 كلم جنوب مدينة تبسة) واويزدان شمال تلمسان وشمبلان قرب المدية فتجع كلها إلى الحضارة الأشولية. أيضا حفريات بئر العاتر بتبسة شبيهة كثيرا بالحضارة المستيرية وحفريات خنقة المحاد شمال شرق تبسة تتزامن مع الحضارة الأورينية أو (المجدولية)، وحفريات مغارات وهران، وكهف الحمام بقسنطينة فتجع إلى العصر الحجري الحديث..

⁽²⁾ تضاربت المصادر القديمة فيما بينها فمنها ما ركزت على قساوة المناخ وضعف التساقط وسيادة الرمال والجفاف.

Lettres, Paris 1950. , VIII, 17 ; Aristote, histoire des animaux, VIII, 28 ; Hérodote, Histoire, T.II, Euterpe, texte établi et traduit par Ph. Le grand, éd. Les Belles Lettres, Paris, 1960., II, 32 ; Strabon, Géographie, trad. nouvelle par Amédée Tardieu, Librairie Hachette, Paris, 1867, II, 5, 33 ; Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, Traduit par A.F. Miot, Paris 1934, III, 50...

³⁾ Eugène Daumas, Les chevaux du Sahara et les mœurs du désert, Paris, Lévy, 1958.

أوجين دوماس (1803-1871)، يتناول في القسم الأول من الكتاب خيول الصحراء وكيفية اختلافها عن الخيول العربية وتفاصيل عنها وعن إستخداماتها وطرق رعايتها وتربيتها. أما القسم الثاني فخصص لسلوكيات وعادات سكان شمال إفريقيا، أو "شعب الخيمة" كما يسميهم دوماس. ولا يعتبر هذا القسم دليلاً إثنوغرافياً متكاملاً أو علمياً، بل يُعد بمثابة مجموعة من الملاحظات والتراث الشعبي والأمثال ومعارف تتعلق بالفروسية تغطي جوانب صناعة الحرب والسلام بين القبائل والصيد وتربية الخيول والجمال والأغنام. ظهر الكتاب لأول مرة عام 1851، ثم تبعته طبعات لاحقة عديدة بالفرنسية والألمانية..

⁽⁴⁾ عبد العزيز الصويغي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، ط 2013، ص 12.

⁽⁵⁾ Demougeot, « Le chameau et l'Afrique du Nord romaine », Ann ESC, 1960, p. 209-247.

⁽⁶⁾ تضل المصادر الأدبية الثانوية عن المغرب القديم خلال عصر الرومان حقلاً للألغام بسبب الدور المميز الذي لعبته المفاهيم المتعاقبة في التأثير على التفسير، ففي حين عدل كثير من المؤرخين وعلماء الآثار المختصين بالمنطقة بعض وجهات نظرهم بعيداً عن المواقف المتطرفة لزملاء لهم وخاصة لستيفان غزال وجلشتايد .. فإن بعض المفاهيم لا زالت إشكالا يطرح. فقد نشأت بعض المناهج العلمية النقدية الجديدة لجمع الأدلة التفصيلية حول سياق تطور المنطقة، أمل أن تقدم منظورا بديلا واضحا وصحيحا.

⁽⁷⁾ على سبيل المثال أوضح تروسي من خلال المصادر القديمة في دراسته للرحل أن الصورة المكونة عنهم ليست نتاج ملاحظات موضوعية وإنما هي نتاج إسقاطات إيديولوجية وثقافية جعلت منه النموذج الأقصى للهمجية. Troussel P., « L'image du nomade saharien dans l'historiographie antique », dans production pastorale et société, Paris, MSH, Informations, 1982, p. 101.

الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري، الليمس الموريطاني ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 34.

⁽⁹⁾ قرنان برودويل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب مروان أبي سمرة، بيروت، 1993، ط 1، ص 53.

⁽¹⁰⁾ LeBohec Yan., la troisième légion August, Paris, ed C.N.R.S. 1989, p 575.

⁽¹¹⁾ Benabou M, la résistance africaine à la romanisation, éd, la découverte, 1976, pp 69-73.

⁽¹²⁾ منها ثورات قبائل الأوراس بعد عهد جنسريق وحصلت على الاستقلال، وثورة مستيس بمرتفعات الحضنة إستمرت حتى إستقلت أواخر القرن الخامس الميلادي، وثورة مازونا في غرب موريطانيا القيصرية، وثورة قاباؤون بالطرابلسية. وفي عهد الإحتلال البيزنطي نجد ثورات كوتزينا وحلفائه ماين (534م-536م)، وثورة قبائل الأوراس بزعامة أبوداس ماين (534م-539م)، وثورة أورطايا (536-539م) بمنطقة الحضنة، والثورة المشتركة بين قبائل الطرابلسية بزعامة أيرنا ثم كركسان، وبين قبائل بيزاكينا بزعامة أنطلاس ماين (543م-548م) وثورة أبناء كوتزينا بنوميديا في 563م، وثورة أهالي القيصرية بزعامة كرمول ماين (570م-579م)، وثورات غير واضحة المعالم في حوالي (587م-593م).